

الجزء الأول

د. موسى أبو مزروق

مَشْوَارُ حَيَاةٍ

ذِكْرِيَّاتُ اللّجُوءِ وَالغُرْبَةِ وَسَنَوَاتُ النُّضَالِ

إعداد : شاكِر الجوهري



الفصل السابع عشر

من الزنزانة إلى مطار ماركا

من الزنزانة إلى مطار ماركا

بعد توقيع الاتفاق والذي نظم عملية الإفراج، وأعطاهما وقتاً محدداً، حيث ضمن فيه الجانب الأمريكي أن أبو مرزوق أو أي أحد من أولاده لن يُقاضي مرة ثانية في القضية المرفوعة، وأن الإجراءات القضائية التي اتبعت كانت صائبة، وإن لم يعترف بذلك أبو مرزوق، وأن تنازله عن حق الإقامة (جرين كاردي) لا رجعة عنه... وفي المقابل، كان التزم الجانب الأمريكي بترحيله إلى الإمارات العربية أو الأردن أو أي بلد ثالث ماعداً "إسرائيل"، كما تعهد بضمان سلامته حتى وصوله إلى ذلك البلد.

في سياق الحديث عن آلية تنفيذ الإبعاد، تمّ الاتفاق على أن يغادر أبو مرزوق الولايات المتحدة بملابس مدنية... وعليه؛ تسلمت إدارة السجن ملابس مدنية لهذا الغرض من قبل العائلة، وأن ترتيبات السفر سيقوم بها الجانب الأمريكي، بدون تحديد أي وقت.

يوم 3 أيار/ مايو، وفي تمام الساعة الحادية عشر مساءً، جاء مدير السجن طالباً من أبو مرزوق تجهيز أغراضه الشخصية استعداداً لمغادرة السجن، دون أن يوضح الوجهة أو الإجراء المقبل...

أبو مرزوق الذي كان متحسباً لمثل هذا الأمر، اتفق مع سجين كان يجاور غرفته (جورج هاري) على أن يبلغ زوجته بموعد مغادرته السجن إن حدث ذلك دون إخطار مسبق.

وقد ترك كل شيء في الزنزانة كما هو، ولم يأخذ معه شيئاً، وكان أرسل بواسطة البريد الحكومي كل الرسائل والكتب العائدة له إلى عنوان عائلته، ولم يبقَ عنده شيء لأخذه معه سوى ذكريات تلك الزنزانة الضيقة، والأسرة الحديدية، وساعات النوم القليلة فيها.

غادر أبو مرزوق الدور التاسع من السجن، ونزل إلى الطابق الثالث، حيث تمّت بعض الإجراءات، وتمّ تسليمه من قبل إدارة السجن إلى شرطة لم يتيقن إن كانت

شرطة نيويورك أم الشرطة الفيدرالية... أم شرطة دائرة الهجرة!! وجرى إخراجه من باب جانبي إلى سيارة، سارت به إلى قارب كان ينتظره لنقله إلى الضفة الأخرى من النهر، دون أن يعلم الهدف النهائي... لأنه لم يكن ملماً بجغرافية المنطقة، ومنها تم نقله إلى مطار صغير مخصص لطائرات الهليكوبتر، حيث استقل إحداها... وقامت الطائرة بالتحليق لبعض الوقت في سماء نيويورك، ثم اتجهت صوب تمثال الحرية الشهير... بدا الأمر له وكأنه مقصود لذاته؛ سجين مكبل بالقيود ينظر من نافذة طائرة إلى تمثال الحرية...!

نقلته الطائرة إلى مطار بنسلفانيا العسكري، حيث دارت حوارات ومشادات بين مرافقيه حول نوع الطائرة، وهل يستقل الطائرة بملابس السجن أم بملابسه المدنية؟! وأصر الجانب الأمريكي على أن الطائرة ستطير ضمن الأجواء الأمريكية حتى تخرج منها، ولكن يجب أن يظل مرتدياً ملابس السجن، وأن يبقى سجيناً حتى آخر لحظة...!! تأخر إقلاع الطائرة ساعة ونصف الساعة تقريباً، واستمر الحفاظ على القيد في يديه ورجليه، وظل مرتدياً ملابس السجن البرتقالية إلى ما قبيل مغادرته الطائرة بقليل في مطار ماركا الأردني.

على متن طائرة الجامبو ذات الصالونات وغرف الاجتماعات، التي توحى أنها طائرة مخصصة لكبار الشخصيات... كانت الأجواء غريبة... عشرات الرجال المدججين بالسلاح يرتدون الملابس العسكرية على أهبة الاستعداد، وقد تكس في مؤخرة الطائرة كذلك عدد من الجنود.

في أحد الصالونات أجلس أبو مرزوق طوال 11 ساعة، وهو الزمن الذي استغرقتة الرحلة المباشرة من الولايات المتحدة إلى مطار ماركا الأردني... وبحسب اعتقاده، فقد كان على الطائرة ألا تمر عبر أجواء فلسطين، تجنباً لأي احتمالات غير محسوبة.

كان على متن الطائرة الضابطان كلاهما جوزيف هامل من الأف بي آي، والآخر و. ل. سميث من دائرة الهجرة، اللذان اعتقلاه في مطار نيويورك بداية ذلك الكابوس.



خلال الرحلة الطويلة على متن الطائرة، دار بين أبو مرزوق والضابطين الكثير من النقاش والحوار حول جهودهما المشتركة لتتبع مسيرة وجوده في الولايات المتحدة؛ خطوة خطوة، والسؤال، والبحث، والتحري عن كل شيء في كولورادو، وواشنطن، ولويزيانا، وفرجينيا، وحساباته البنكية واستثماراته العقارية، وأنشطته السياسية، وعلاقاته التنظيمية، وأوراقه الضريبية، ورحلاته المكوكية، وكان همُّهم الرئيسي، كما ذكر له، أن يبقى في السجن 23 سنة على الأقل، ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾.

وقد ذكر له تفاصيل أشياء قديمة قد نسيها أو مُحيت من ذاكرته، ولم يتركها جازاً من جيرانه، أو أستاذاً تعامل في سنوات دراسته الجامعية في أمريكا، أو بنكاً إلا وتحروا عنه، عسى أن يجدوا ما يُجرِّمه بموجب القانون الأمريكي، ولكنهم، والحمد لله، فشلوا في ذلك.

يوم 4 أيار/ مايو، وفي تمام الساعة 10:30 مساءً، هبطت الطائرة في مطار ماركا الأردني، حيث وقف الضابطان وفكاً قيوده، وارتدى ملابسه المدنية، واستلم وثيقة سفره، وصادرا منه كل البطاقات الأخرى... وعند فتح باب الطائرة، كان في استقباله محافظ العاصمة، ود. بسّام العموش؛ النائب الإسلامي في البرلمان الأردني، والمهندس إبراهيم غوشة؛ عضو المكتب السياسي في حركة حماس، وعدد من ضباط الأمن...

الجانب الأمريكي الأمني فوجئ بهذا الاستقبال، وأبلغ الجانب الأردني أنهم كانوا يتوقعون ألا يطلق أبو مرزوق حراً بهذه البساطة...!!

وكانت تسريبات صحفية ذكرت قبل وصوله من جهات معنية في الأردن، أشارت إلى أن استضافته في الأردن هي فقط لمدة شهر، ثم يغادر الأردن إلى حيث يشاء، وكانت هناك أيضاً أقاويل أخرى تداولها الإعلام الأردني...!

بعد فشل الإدارة الأمريكية في وضع اشتراطات على تحركاته وإقامته، كان أبو مرزوق خلالها دائم الإصرار على رفض أي شروط، وعدم الإنعان لما قد يمس كرامته أو عمله ومكانته. وللحقيقة أيضاً، فقد رفض الملك حسين رحمه الله هو

الآخر هذه الشروط؛ مثل: منع زيارة أبو مرزوق للدول التي تساند "الإرهاب"، بحسب المفهوم الأمريكي، وهي سورية، والعراق، وليبيا، والسودان، وإيران، أو إلزامه بالإقامة الجبرية في الأردن لفترة محدودة، أو الابتعاد عن ممارسة أي عمل سياسي، وما إلى ذلك.

من مطار ماركا نقل أبو مرزوق إلى منزل في عمّان الغربية، كان قد استأجره المكتب السياسي مسبقاً ليكون مقر إقامة مؤقتة له... ريثما يتم تدبر أمره... وكان لقاءً وسهرة طويلة لا تنسى مع رفاق الدرب من أعضاء المكتب السياسي وغيرهم. سريعاً وبُعيد وصول أبو مرزوق الأردن، دارت أحاديث حول مسألة بقاءه في الأردن بعد الإفراج عنه، وقد فاتحه بالأمر الفريق سميح البطيخي؛ مدير المخابرات العامة في الأردن... الذي أبلغه أن إقامته في الأردن ستكون مؤقتة. غير أنه لدى استقبال الملك له، لتهنئته بإطلاق سراحه، بحضور الأمير الحسن بن طلال؛ ولي العهد في حينه، والفريق سميح البطيخي؛ مدير دائرة المخابرات، والنائب بسّام العموش، وزوجته السيدة نادية العشي (أم عمر)، وصغيرته رُبا، أخذ اللقاء طابعاً اجتماعياً، وكان لفظة كريمة من جلالة الملك حسين رحمه الله... حين أثار النائب بسّام العموش طلب مدير المخابرات من د. موسى مغادرة الأردن، سارع الملك إلى رفض ذلك... ووجه حديثه إلى أبو مرزوق مباشرة: "البلد بلدك... اجلس فيها كما تشاء"، وطلب من الفريق البطيخي تسهيل أمور الإقامة، وقد كان.

بعد هذه المحطة من الإقامة الكريمة في الأردن، والتي غادرها بعد ذلك إلى سورية، بدأ أبو مرزوق مشواراً طويلاً آخر من حياته، سيتم تناوله في كتاب آخر كجزء ثانٍ من سيرة حياته السياسية.





استقبال التهنئة بالإفراج عن د. أبو مرزوق في عمان، أيار/ مايو 1997



د. موسى أبو مرزوق مع زوجته وأولاده

Musa Abu Marzuq: A Life Journey

Memoirs of Seeking Refuge, Emigration and the Years of Struggle

هذا الكتاب

أن تولد لاجئاً، وأن تعيش مناضلاً، وأن يضعك الله سبحانه في مشهد الصدارة لقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فهذه ملحمة ومشوار حياة فيه الكثير من التحديات، ويتطلب من القائد حكمة بالغة وصبراً جميلاً، للحفاظ على توازن المسيرة وتحقيق الأهداف.

في هذا الكتاب، استعراض لصفحات النشأة في المخيم، ثم سنوات الدراسة والعمل داخل الوطن وخارجه.

بلا شك، كانت المحطة الأهم في هذه السردية، هي سنوات العمل، ثم الاعتقال في أمريكا، على خلفية قيادة المكتب السياسي لحركة حماس.

عامان كان فيهما الكثير من الأحداث والمعاناة والفرص لإبراز القضية الفلسطينية، وتجسيد خطاب حماس السياسي كأحد أهم معادلات الصراع مع الاحتلال، وفضح جرائمه التي كانت أمريكا—بانحيازها لـ"إسرائيل"—تعمل على تعطيلها، وإفشال أي جهد دولي أو إنساني لنصرة الفلسطينيين وقضيتهم.

هذا الكتاب يعرض الجزء الأول من الرواية، والتي ستكتمل تفاصيلها فيما هو قادم من أجزاء أخرى إن شاء الله.

ISBN 978-9953-572-82-6



9 789953 572826



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

